الروابط الاجتماعية في الأسرة الجزائرية بين المجال الاجتماعي المتجانس والمجال الاجتماعي غير المتجانس
دراسة ميدانية على عينة من الأسر

أ. بن عيسى محمد المهدي جامعة ورقلة

أ. بوسحلة ايناس جامعة ورقلة

كادي نصيرة

الملخص

تهدف هذه الدراسة الي تحليل وفهم التغيرات التي عرفتها الاسرة الجزائرية من حيث العلاقات والتفاعلات الاجتماعية التي تحدث داخلها ، على اعتبار ان الاسرة الجزائرية عرفت عدة تغيرات و تحولات سواء في شكلها من أسرة مركبة إلى أسرة نووية ، أو في تفاعلاتها و علاقاتها الداخلية بين افرادها حسب تواجدها في مجال اجتماعي متجانس او مجال اجتماعي غير متجانس , كما تهدف ايضا الي الكشف عن طبيعة اليات الدمج التي تستعملها الاسرة في كلا المجالين المتجانس والغير متجانس من اجل المحافظة على كيانها وتضامنها وقيمها ،

اي من اجل اكتساب اليات الدمج تعطي لها القدرة على اعادة نفسها والمحافظة على نموذجها الثقافي الموجه لتفاعلات اعضائها و سلوكاتهم و افعالهم ازاء بعضهم البعض او ازاء الموضوعات والتفاعلات الخارجية .

اذا كانت الدراسات السوسيولوجية الكلاسيكية والحديثة في اهتمامها بالمجتمع و الاسرة تناولتها من جانب الانتقال من التضامن الميكانيكي الي التضامن العضوي كما هو الحال عند ابن خلدون ودركايم وغيرهم دون تحديد ما طبيعة هذا التضامن ألعضوي فان هذه الدراسة نحاول من خلال فهم طبيعة هذا التضامن الطارئ على الاسرة بصفتها مجال اجتماعي يتميز بخصوصية نوعية وحسب المجال المكاني (العمراني) المتواجدة فيه . وعليه سنحاول من خلال هذه الدراسة الاجابة على تساؤلين محورين هما :

هل يؤثر ظهور مجالات تفاعلية اخرى لأفراد الأسرة على طبيعة التفاعلات داخلها ؟، وما نوع التضامن الناتج داخل كل مجال عمراني ؟

الكلمات المفتاحية : الاسرة / التضامن المادي / التضامن المعنوي / المجال الاجتماعي / الصراع

الطرح :

لا يختلف اثنان في أن الأسرة هي نواة المجتمع التي منها يستمد قوته، فالحديث عنها هو الحديث عن التفاعلات والعلاقات والروابط التي تشكل في مجموعها الخلية الأساسية للنسيج الاجتماعي.

وإذا ما أردنا الحديث عن الأسرة الجزائرية نجد انها مرت بمراحل متعددة في نشأتها وتطورها في ظل التغيرات والتطورات التي شهدها المجتمع ، فالمرحلة الأولى كانت في عهد الاستعمار خلال هذه المرحلة كان مشروع الاستعمار تفكيك الأسرة الجزائرية من خلال تحطيم النسب العائلي والتقتيل والتشريد والتنصير ونشر الموبقات والوسائل الهدامة مثل الخمر والقمار والزنا وغيرها. وقد عانت الأسرة الجزائرية من التهميش والبطالة والفقر، إلا أن هذا مشروعه باء بالفشل، لان هذا الوضع زاد أفراد الأسر إلى الالتفاف حول بعضهم البعض والوقوف ضد الاستعمار بتكاثف الجهود وتنامي قيم التعاطف والتضامن والتمسك والقيم الثقافية والوطنية وقد كانت الاسرة خلال

هذه المرحلة اسرية ريفية تربطها القرابة والتضامن ، بعدها جاء الاستقلال الذي طالما انتظرته الأسرة الجزائرية بشوق لتتحرر من قيود المستعمر وسياساته العنصرية، وتعيش في كنف قيمها وثوابتها العربية، وعاش جيل الثورة عهد الاستقلال محاولا تحقيق المساواة في فرص التعليم والتوظيف وحق المواطن في حياة أفضل على كافة المستويات، ولكن بسبب عدم وجود مشروع اجتماعي واضح وكذا الاضطرابات التي شهدتها البلاد بسبب الغزو الثقافي كل هذا أثر على بناء ووظيفة الأسرة الريفية ،اما في مرحلة التغيير فقد شهدت الحياة الجزائرية على كافة المجالات خللا في التوازن والتنظيم، فانعكس ذلك على الأسرة، إذ كان يحلم الفرد الجزائري أن يعيش هانئا مطمئنا بعد خروج الاستعمار، فإذا به لم يحقق الكثير من هذه الأحلام التي كانت تراوده في العيش في كنف الحريات العامة، فظهر الجيل الثالث االذي اتجه الي الأسرة الحضرية والزواجية الذي تغلب عليه الفردانية ، بعدها جاءت سنوات العشرية السوداء التي عاشت خلالها الجزائر سنين جمر لم تشهد لها مثيلا من قتل وتشريد وتهجير من القرى وعدم الأمن ، فقد كانت الأسرة الجزائرية في بحث عن الأمن والأمان ناهيك عن البحث عن لقمة العيش في ظل تدهور الظروف الاقتصادية للبلاد، وقد أثرت هذه التغيرات وغيرها وشكلت ضغوطا على الأسرة الجزائرية مست بناءها ووظائفها، حيث انطوت كل أسرة على نفسها وضيقت من حدود ومجالات تفاعلها حتى مع الجيران أنفسهم لانعدام الثقة. وانعكست هذه الظروف سلبا حتى على العلاقات والتفاعلات داخل الأسرة ، بانفراج الأزمة التي عاشتها الجزائر أكثر من عشر سنوات، شهدت الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية ازدهارا كان له الأثر على الأسرة الجزائرية ، وعلى طرق تعامل أفرادها مع بعضهم البعض.

إضافة إلي ذلك عرفت الأسرة الجزائرية عدة تغيرات سواء في شكلها من أسرة مركبة إلى أسرة نووية أو في علاقاتها الداخلية, ويدخل هذا ضمن التحول السوسيوثقافي للمجتمع الجزائري والذي عرف عدة تحولات اقتصادية, اجتماعية, سياسية عميقة جعلت من التفاعلات داخل الأسرة تتميز بالازدواجية أي يمتزج فيها التقليدي والحديث، فخروج المرأة للعمل واستقلالها بأجر وظيفي مكنها من المشاركة في الكثير من القرارات التي تخص أسرتها، كما

مكنها من القيام ببعض المهمات خارج المنزل، وأصبحت العلاقات والتفاعلات بين أفراد الأسرة يغلب عليها طابع الفردية، إذ أصبح الشباب يتمتع بحرية اكبر في اختيار ما يرتدي من ملابس، وفي اختيار نوع التعليم والوظائف وأصبح له حق المحاورة والأخذ والعطاء فيما يخص اختيار شريك الحياة، وفي السكن مع الأهل أو الانفصال عنهم.

بروز كل هذه التحولات في المجتمع أدى إلى تعدد المجالات التي يتفاعل فيها الفرد مع غيره خارج إطار الأسرة منها مجال الترفيه، العمل، العلم، العمل الاجتماعي والتي لم تكن موجودة سابقا، ذلك أن الأسرة في الماضي كانت تقوم بكافة الوظائف الاقتصادية، الدينية، الاجتماعية، التعليمية، والتي تفرض على الفرد أن يتفاعل داخل النسق الأسري الذي ينتمي إليه.

من خلال الطرح السابق سنحاول من خلال هذه الدراسة الكشف عن طبيعة التفاعلات داخل الأسرة الجزائرية من خلال المجالات الاجتماعية التي يتفاعل فيها افراد الاسرة وذلك من خلال الاجابة على

1- الأسرة المتواجدة في المجال الاجتماعي الذي يحكمه نموذج ثقافي ريفي وبتعدد مجالات التفاعل لأفرادها يتخذ التفاعل بينهم شكل التضامن المعنوي.

2- الأسرة المتواجدة في المجال الاجتماعي الذي يحكمه نموذج ثقافي شبه حضري وبتعدد مجالات التفاعل لأفرادها يكون التفاعل بينهم على شكل تضامن مادي.

3- الأسرة المتواجدة في المجال الاجتماعي الذي يحكمه نموذج ثقافي حضري وبتعدد مجالات التفاعل لأفرادها يكون التفاعل بينهم يتميز بالصراع.

أولا : مفاهيم الدراسة

بأنها مجموعة من الأفراد يرتبطون ببعضهم البعض Anthony Giddens **1-الأسرة :** عرفها أنتوني جيدنز بروابط الدم أو الزواج أو التبني، والذين يمثلون وحدة اقتصادية، يعتبر الأعضاء البالغون فيها مسؤولين عن تربية الأطفال[1]، لقد حصر الأسرة في الجانب المادي وتربية الأبناء فقط حيث يربطهم رابط وتجاهل التفاعل الذي يكون بينهم.

فيعرفانها على أنها جماعة من الأشخاص يرتبطون بروابط الدم أو LOCKE ولوك BURGESSأما بيرجس الزواج أو التبني، ويعيشون معيشة واحدة، ويتفاعلون كل مع الآخر في حدود أدوار الزوج والزوجة، الأم والأب، الأخ والأخت ويشكلون ثقافة مشتركة[2].

2-المجال الاجتماعي:

هو فضاء من التفاعلات المتبادلة أين يوجد بالضرورة الفاعلين كأحد أطراف عملية التفاعل، أو هو شبكة من الفاعلين المشتركين في القيام بعمليات اجتماعية. ويعرفه محمد المهدي بن عيسى على أنه الحقل الذي يتم فيه عملية التفاعل بين المعني ومحيطه الاجتماعي، والمجال الاجتماعي يتميز عن المجال العمراني لأن المجال العمراني هو منتوج للتفاعلات التي تتم في المجال الاجتماعي ثم يصبح بعد ذلك نتاج لها[3].

المجال الاجتماعي تبنيناه وحددناه بالبدو و الحضر اعتمادا على تقسيم ابن خلدون، ونحن نفصل بين المجال الاجتماعي والمجال العمراني لان في عهد ابن خلدون وفي البدو تحديدا كانا غير منفصلين، فالمجال الاجتماعي ينتج المجال العمراني والمجال العمراني يعيد إنتاج المجال الاجتماعي دون تدخل أي طرف آخر، لكن الآن أصبحا منفصلين لان المجال العمراني لم يعد منتوج اجتماعي بل أصبحت هناك يد أخرى تتدخل لإنتاجه كالدولة على سبيل المثال التي أصبحت تنتج مجال عمراني ثم تنقل له أفراد من مجالات اجتماعية وعمرانية مختلفة ، وبالتالي

يصبح المجال الاجتماعي والمجال العمراني منفصلين وبذلك فمن الطبيعي أن نجد في المناطق الحضرية الرابط الاجتماعي إما جوار وإما لا علاقة بينهم في حين أن المسكن جنب المسكن، فهي علاقة عمرانية بحته.

اعتمادنا على هذا المفهوم اخترنا لهذه الدراسة تقسيم المجتمع إلى مجالات عمرانية ذات نماذج ثقافية مختلفة وهي: ريفية، شبه حضرية، حضرية وحددنا بعد ذلك أنماط العلاقة لكل مجال (قبلية، أسرية، فردية).وتظهر أهمية مفهوم المجال الاجتماعي كونه يعطي صورة للأفراد والجماعات حول الهوية التي تبنى من خلال التفاعل بين مختلف الفاعلين في المجالات الاجتماعية المتعددة (الأسرة، العشيرة، المدرسة، مكان العمل...)

3- التفاعل الاجتماعي

هو العملية الاجتماعية الأساسية التي تعبر عن ذاتها في الاتصال وفي العلاقة المتبادلة بين فردين أو أكثر أو بين جماعتين A.Giddens بأنه العملية التي يبدر من خلالها الفعل أو رد الفعل تجاه الآخرين[4] ، يعرفه أنتوني جيدنز .كما أن التفاعل الاجتماعي هو سلسلة من المؤثرات والاستجابات ينتج عنها تغيير في الأطراف الداخلة فيما كانت عليه عند البداية

والتفاعل المقصود في دراستنا هذه هو تلك العلاقات المتبادلة بين أفراد الأسرة الواحدة، حيث تتخذ هذه العلاقات مجموعة من الأشكال كالتضامن، الصراع أو غيرها ويرجع هذا إلى طبيعة المجال الذي تنتمي إليه هذه الأسرة تماشيا مع النموذج الثقافي للمجال.

4- التضامن

هو حالة أو ظرف تتميز به الجماعة يسود فيه الالتحام الاجتماعي والتعاون والعمل الجمعي الموجه نحو انجاز أهدافها[5].وهو كذلك عملية اجتماعية تعبر عن علاقة مساندة ودعم من طرف شخص أو فئة اجتماعية لصالح

شخص أو فئة اجتماعية أخرى، فهو نوع من تقديم المساعدة المعنوية أو المادية أو كليهما لهم طواعية دون إلزام، وقد يكون ذلك بين الأشخاص أو الفئات المتماثلة والمتفاوتة في المكانة الاجتماعية[6].

والمقصود بالتضامن في هذه الدراسة هو المساندة التي تكون بين أفراد الأسرة من خلال تفاعلهم مع بعضهم البعض والتي يسودها الشعور بالانتماء وتغلب عليها الروح الجماعية على النزعة الفردية، واهتمام الأفراد داخل هذه الأسرة لا يكون موجها إلى دواتهم بقدر ما هو موجه إلى الجماعة، والعلاقة بينهم يسودها التعاطف والتعاون، هذا التضامن قد يكون:

أ. تضامن معنوي: وهو الذي يشمل المساندة العاطفية التي تقدم لأفراد الأسرة وذلك بالاهتمام بهم والسؤال عنهم وتفقد أحوالهم، واشتراك أفرادها في المشورة لإيجاد حلول للمشاكل التي تعترضهم.

ب. تضامن مادي: وهو الذي يشمل المساعدة المادية والمساعدة في انجاز الأعمال الخاصة بالأسرة وأفرادها وغيرها.

5- الصراع

هو نزاع مباشر ومقصود بين أفراد أو جماعات من أجل هدف واحد، ويعرفه ماكيفر بأنه نشاط كلي يتنازع فيه الأفراد مع بعضهم من أجل هدف معين[xci].وهو مظهر من مظاهر التفاعل الاجتماعي يحاول فيه الأفراد أو الجماعات تحقيق أهداف لصالحه ومنع الآخرين من تحقيق ذلك، كما يعد كذلك علاقة تفاعلية لا يكاد يخلو منها أي مجتمع وغالبا ما يحدث حول الموارد النادرة أو من أجل تحقيق نوع من المكانة والقوة والنفوذ.

وتماشيا مع مضمون الدراسة الصراع هو ذلك التعارض الذي يحدث داخل الأسرة وبين أفرادها نتيجة تفاعلهم مع بعضهم البعض، ويكون إما تعارض في الأهداف أو اختلاف وتعارض في القيم، ويتولد نتيجة سعي كل طرف إلى تحقيق مصالحه وأهدافه وطموحاته بغض النضر عن مصالح الأسرة التي ينتمي إليها.

6 -النموذج الثقافي

يمكن تعريف النموذج الثقافي بأنه التصور الذي اختاره المجتمع من تمثلات وتصورات وقيم وأفكار ومعايير في تفاعله مع هذا الواقع ويشمل مستوى القدرة على الخلق أو الطريقة التي فهم بها المجتمع قدرته على الفعل النموذج الثقافي للمجتمع بأنه نموذج زراعي، صناعي وما بعد Alain Tourainوالانجاز[7]لقد ربط آلان توران الصناعي، ولكن المجتمع الحالي أصبح يتكون من مجالات اجتماعية محددة بنموذج ثقافي، فلكل مجال اجتماعي خصوصية ثقافية ونموذج ثقافي خاص به والذي يحكمه ويعطي له الهوية الجماعية، كما يحكم أفعال وسلوكات الأفراد. ومنه نقول انه كلما تعدد المجال التفاعلي للفرد تغير نموذجه الثقافي، فتغير معه العادات والتقاليد والقيم لأنه يأخذ من كل مجال تفاعلي جزء من ثقافته.

أما بالنسبة لهذه الدراسة فالنموذج الثقافي للأسرة هو مجمل القيم والأفكار التي أنتجها المجال الاجتماعي والتي تعمل على تأطير الأفعال والتفاعلات لدى أفراد الأسرة.

ثانيا – نظريات الاجتماعية المفسرة للأسرة

لقد تأثرت الأسرة بالتغيرات السريعة التي شهدها عالمنا المعاصر، وهذا ما جعلها موضوعا للجدل لدى المفكرين والسوسيولوجيين فتعددت بذلك النظريات الاجتماعية التي اهتمت بدراستها وهذا راجع إلى تعدد اتجاهاتها الفكرية وكذا اختلاف أهدافها العلمية والعملية ما جعل زوايا الدراسة مختلفة ومتعددة وسنعرض فيما يلي أهم النظريات الاجتماعية التي اهتمت بدراسة الأسرة وهي:

1- الأسرة في النظرية البنائية الوظيفية

تعتبر النظرية البنائية الوظيفية من بين أهم النظريات التي أعطت اهتماما واسعا لدراسة الأسرة، فهي لا تبحث عن أصل الأسرة وتطورها، بل تنظر إليها بوصفها نسقا اجتماعيا يتكون من أجزاء يربط بينها التفاعل والاعتماد

المتبادل، فضلا عن اهتمامها بدراسة وظائف الأسرة في ديمومة الكيان الاجتماعي، كما تهدف إلى توضيح الترابط الوظيفي بين النسق الأسري وبقية انساق المجتمع الأخرى[8]، من خلال تكوينها من أشخاص لهم ادوار و مكانات لها دلالتها الوظيفية من اجل النسق الأسري و النسق الاجتماعي الشامل،

ينظر الوظيفيون إلى الأسرة على أنها جزء أساسي من كيان المجتمع، وترجع أهميتها لخطورة الوظائف الاجتماعية التي تقوم بها بغية المحافظة على بقاء المجتمع وسلامته، وقد ابرزوا العلاقة بينها وبين غيرها من النظم الاجتماعية فنجد أن الأسرة تعطي شيئا لكل نظام اجتماعي وتتلقى منه شيئا آخر في المقابل، فالأسرة توفر للنظام الاقتصادي قوة العمل من الأفراد الذين يعملون في مجالات العمل المختلفة، وتتلقى في مقابل ذلك الأجور التي يحصل عليها الأفراد والسلع المختلفة التي تستخدم في إشباع الحاجات المادية، وتمنح الأسرة للمجتمع المحلي جهود أفرادها من خلال مشاركتهم الفعالة في أنشطته المتعددة، وتتلقى الأسرة عنه هويتها التي تميزها عن غيرها من أبناء المجتمعات المحلية الأخرى، كما تدعم الأسرة النسق القيمي بالامتثال وعدم الخروج عن القيم، وفي مقابل هذا الدعم تتلقى عنه منظومة منسقة من القيم التي توجه الأفراد في تحديد تفضيلهم للأشياء[9].

التنشئة بمهمة القيام تستطيع التي الوحيدة هي بنائية، وحدة بوصفها الأسرة أن Parsonsبارسونز ويرى تعمل وثقافته، وبذلك المجتمع متطلبات مع الفرد توافق الجديد وتضمن الجيل إلى القيم غرس بواسطة الاجتماعية، الاجتماعي النظام استمرار ضمان على.

2- الأسرة من منظور الصراع

يرى هذا المنظور أن النزاعات والخلافات الأسرية (بين الزوج والزوجة والأب والأبناء والأم والأبناء...) أمر طبيعي ناتج عن عدم المساواة في الحقوق والواجبات، من هنا نستنتج انه لا توجد أسرة خالية من نزاعات وخلافات أسرية. والصراعات الداخلية للأسرة تعكس في الواقع عداوات أساسية متأصلة في البنية الاجتماعية الكبرى،

فالصراعات الزوجية مثلا غالبا ما تتعلق بتوزيع الموارد وتوزيع العمل وممارسة السلطة في الأسرة، ولكنها في الوقت نفسه تعكس الأحوال الاجتماعية السائدة في المجتمع حيث يسود عدم المساواة في العلاقات بين الرجال والنساء.

الصراع داخل الأسرة في نظام الميراث، حيث أن الابن الأكبر في الأسرة يحظى بالميراث Marksيبرز ماركس دونا عن بقية إخوته، وهذا ما كان متعارفا عليه في الأمم البدائية والأسر الممتدة وحتى في بعض الأسر العربية حاليا والتي تفضل كثيرا أن يكون أول مواليدها ذكرا حتى يرث لقب الأسرة ومالها من أموال مختلفة الأشكال، من أراضي وعقارات وحتى منصب الملك. وهذا التمييز في الميراث بين الأولاد الذكور والإناث أدى إلى ظهور صراع داخل الأسرة بين أعضاءها على الإرث المالي وعلى مقعد الملك[10].

يركز هذا الاتجاه كذلك على المصادر النفسية والنادرة والثروة والسلطة الأسرية وممارسة الأدوار الرئيسة ومنافسة أعضاء الأسرة في الحصول على الأهداف، وهذا يمثل المصدر الأساسي للنزاعات والخلافات داخل الأسرة، لذلك كان كفاحهم للحصول عليها يؤدي إلى النزاع أو الصراع داخلها متخذا أساليب متباينة، تبدأ من استخدام الألفاظ والعبارات الخشنة والجارحة والسيئة مرورا باستعمال القوة الجسدية وانتهاء باستخدام الأدوات الجارحة أو القاتلة[11].

وترجع نظرية الصراع التغيرات التي حدثت في الأسرة إلى ثلاث عوامل هي:

1- التحولات الاجتماعية الكبرى.

2- التحضر الإجباري والهجرة من الريف إلى المدينة.

3- الزيادة الحادة في النشاط الاقتصادي الذي تزاوله النساء المتزوجات[12]

وهكذا فإن نظرية الصراع ترى بأن الصراعات والنزاعات قائمة وكائنة في كل الأسر، لكن ليس بشكل مستمر ودائم، وهو جزء من كفاح الأسرة في وجودها، فالصراع إيجابي إذا كان يبرهن على صلابة بنيان الأسرة، أو إذا عمل على تعزيزه وحدتها بمصادر طاقة إضافية، كما ينظر إلى النزاعات والخناقات الأسرية على أنها تعبر عن

ايجابيات تعود على بنيتها وتنقي أجواءها من التلوث الذي أصابها لأن الأسرة من خلالها تعيد تصحيح الأخطاء وإزالة الإبهام والغموض الذي طرأ على حياة الأسرة في معايشتها لهذه الخلافات[13].

3-الأسرة في التفاعلية الرمزية

ينظر هذا الاتجاه إلي الأسرة على أنها وحدة من الأشخاص المتفاعلين ويشكل كل منهم وضعه ومكانه داخل الأسرة، وبموجب هذا الوضع تتحدد الأدوار داخل الأسرة، فالفرد يدرك معايير وتوقعات الدور الذي يحدده له الأعضاء الآخرون في الأسرة[14]. فأعضاء الأسرة يشكلون وحدة من الشخصيات المتفاعلة والمتكاملة من خلال العمليات الداخلية التي يقومون بها، وأدائهم للأدوار المنوطه بهم، وتداول السلطة العليا أو المركز بين الأب والأم، وكذا التدخل لحل النزاعات و اتخاذ القرارات، كل هذه العمليات تشكل تفاعلا أسريا يؤدي في أحيان كثيرة إلى ضغوطات داخلية تستدعي الاحتكام إلى صاحب المركز الأعلى من أجل الفصل فيها[15].

كما تحتوي الأسرة على العديد من العلاقات، سواء الرابطة بين الزوج و زوجته أو بين الآباء و الأبناء أو علاقة الأسرة بالمجتمع الخارجي ككل، هذه العلاقات المتنوعة المتعددة تحتوي على العديد من السلوكيات المحتوية على الكثير من الرموز الناقلة للثقافة.

ثالثا: الإجراءات المنهجية للدراسة

أجريت هذه الدراسة سنة 2013/2012 على عينة من الأسر في ولاية ورقلة وبالضبط في دائرة تقرت التي تضم أربعة بلديات هي : الزاوية العابدية، النزلة، تبسبست، تقرت ، وقد تم استخدام

المنهج الكيفي في جمع البيانات بالاعتماد على الملاحظة البسيطة ،حيث قمنا برصد بعض السلوكات المتصلة بالتضامن والصراع. والمقابلة كأداة لجمع البيانات الكيفية والتي تتطلب منا الدخول في تفاعل واتصال مباشر مع المبحوث

بناءا على ما لاحظناه من خلال الدراسة الاستطلاعية قمنا بصياغة مجتمع الدراسة صياغة سوسيولوجية وفق متغيرات ومؤشرات رأينا بأنها تؤثر على التفاعل، هذه المتغيرات والمؤشرات تتمثل في ما يلي:

فيما يخص تحديد المجالات الاجتماعية المتواجدة فيها الأسرة فقد اعتمدنا على:

1- طبيعة العلاقة الاجتماعية المتواجدة في المجال الاجتماعي: يعني هل هي علاقة قرابة من الدرجة الأولى أو من الدرجة الثانية أو هي علاقة اجتماعية عمرانية.

2- طبيعة النشاط الاجتماعي والمهني الغالب في المجال الاجتماعي: حتى نحدد هل هذا المجال تحكمه ثقافة ريفية زراعية أو ثقافة مستمدة من خصوصيات المجتمع الصناعي.

3- امتلاك الأجهزة من عدمه: إذ يحدد لنا هذا الامتلاك الطريقة ومدى القدرة المادية والثقافية للفرد التي يشكل بها في مجال اجتماعي ما حدود تفاعلاته الاجتماعية ومدى تعدد مجالاته التفاعلية.

في حين أن كل من السن والجنس والمستوى التعليمي ونمط السكن وعدد الأولاد فقد وضعوا لتحديد الهوية التي ينطلق منها الفرد في تفاعلاته مع أفراد الأسرة.

أما مجالات التفاعل فتتضمن عدة مؤشرات تتمثل في نوع الوظيفة، النشاط الموازي، وكذا تسيير واستهلاك الوقت بالنسبة للفرد لتتبع المجالات التفاعلية للمبحوث والعوامل الثقافية التي تتحكم في هذا التفاعل، ومن تشابه في العادات والتقاليد أو اختلافها، هل هي التي تتدخل في تحديد طبيعة التفاعل داخل الأسرة ؟ فمن خلالها نريد أن

نعرف هل هذه المجالات تعمل على إنتاج وإعادة إنتاج نفس التفاعلات بين أفراد الأسرة في مختلف المجالات الاجتماعية والعمرانية أو تعمل على صياغة تفاعلات أخرى انطلاقا من ضوابط ومعايير ثقافية أكثر تحضرا.

اما فيما يخص عينة الدراسة فقد اعتمدنا في هذه الدراسة على الأسرة كوحدة تحليل ، وبما أن طبيعة دراستنا عبارة عن دراسة حالات فقد كان المعاينة معاينة غير الاحتمالية، متبعين أسلوب عينة كرة الثلج، وهو أسلوب نلجأ إليه عندما نكون نعرف بعض أفراد مجتمع البحث وهم يرشدوننا إلى أشخاص أخرين نتصل بهم، حيث تم الاتصال بمجموعة من الأسر وهم بدورهم دلونا على أسر أخرى تتوفر فيهم مواصفات عينة الدراسة وهي: أن تكون الأم عاملة والأب كذلك، لديهم أبناء كبار في السن نوعا ما كي يكون لديهم مجالات تفاعلية أخرى، حبذا لو كان للأم والأب نشاط آخر غير العمل الوظيفي، الأبناء منخرطين في نوادي– كشافة – دروس الدعم...الخ، وقد أخذنا بعض الحالات من كل بلدية، وهي مقدرة ب: خمس حالات من بلديتي الزاوية وتبسبست، ثلاث حالات من النزلة، ستة حالات من تقرت.

اما فيما يخص التصنيف السوسيولوجي للمجالات الاجتماعية :

1– النموذج الثقافي للمجال المتجانس (العمراني الريفي)

المجتمع الريفي المعني بالدراسة هو كل من بلدية الزاوية العابدية وتبسبست، فالنموذج الثقافي لهذا المجال لم يعد النشاط الزراعي هو الظاهر وإنما أضيفت له أنشطة أخرى كالعمل في تجارة التجزئة والدكاكين والأسواق والنشاطات الحرفية والتوظيف العمومي، سكان هذا المجال من أصل اجتماعي واحد أي أهل المنطقة حيث يتميز بعلاقات اجتماعية قائمة على عوامل القرابة والجيرة، ومبدأ التعاون بين أفراده،كما يتمتع أفراده بمستوى تعليمي متنوع، يمتلك أغلب سكانه الأجهزة الحديثة عدا انخفاض امتلاكهم للانترنت، البنايات مزدوجة بين التقليدية والحديثة

يغلب عليه البناء الذاتي باستخدام المواد الحديثة، تمثل الأسرة جزء من جماعة أكبر وهي العرش والذي يضم مجموعة من الأسر التي ترجع إلى جد واحد مشترك وتكون متعاونة ومتضامنة.

2- النموذج الثقافي للمجال غير المتجانس (العمراني شبه الحضري)

المجتمع شبه الحضري المعني بالدراسة هو بلدية النزلة، فالنموذج الثقافي له لم يعد يغلب عليه النشاط الزراعي فحسب وإنما ظهرت أنشطة أخرى كالعمل الحر والعمل في قطاع التوظيف العمومي والتجارة والأنشطة الخدماتية والإدارية والمهن الخاصة كالصناعات الخفيفة والنشاطات الحرفية، سكان هذا المجال أغلبهم من أصل اجتماعي واحد مع وجود عناصر ذات نماذج ثقافية مغايرة، يتميزون بعلاقات اجتماعية قائمة على عوامل القرابة والجيرة والمصاهرة، كما يتمتع أفراده بمستوى تعليمي متنوع، يمتلك أغلب سكانه الأجهزة الحديثة، البنايات مزدوجة بين التقليدية والحديثة يكون فيه البناء الذاتي باستخدام المواد الحديثة، بالإضافة إلى بنايات حديثة تدخل في إطار المشاريع المنجزة من طرف الدولة.

3- النموذج الثقافي للمجال غير المتجانس (العمراني الحضري)

المجتمع الحضري المعني بالدراسة هو بلدية تقرت، فالنموذج الثقافي له يتميز بأن اغلب سكانه ليسوا من أصل اجتماعي واحد، تحكمها علاقات اجتماعية قائمة على أساس العلاقة العمرانية وبالتالي يضعف الجانب القرابي، وهذا ما أشار إلية خليفة عبد القادر في رسالته المذكورة سابقا بأن (بلدية تقرت ترمز اجتماعيا لعائلات المجاهرية أو بعض العائلات من المتمدنين قديما أو من النخب الاجتماعية الجديدة من الموظفين17 النشاط الاقتصادي متنوع بين التوظيف وأعمال حرة مع تواجد الصناعة والتجارة بشكل قوي (مصنع الأجور، البلاستيك، الإسفنج، الفخار...)،كما يتميز أفراده بمستوى تعليمي متنوع مع امتلاك اغلبهم للأجهزة الحديثة، يغلب على بنيانها الطابع الحديث فهي عبارة عن شقق وعمارات، أما البيوت المنجزة من طرف الأشخاص فيميزها وجود دكاكين وغرف.

رابعا: نتائج الدراسة

1-أظهرت نتائج الدراسة الميدانية أن الأسرة المتواجدة في المجال المتجانس الذي يتميز بالنموذج الثقافي الريفي مازالت تتمتع بخاصية التضامن بين أفرادها، والذي يتجلى في وجود المشاركة والاهتمام بين أفرادها خاصة اشتراكهم في اتخاذ القرار وحضورهم الاجتماعات التي تعقد من أجل تدارس الأمور الخاصة بهم، وتكون العلاقة بينهم قائمة على التعاون الذي هو علاقة تفاعلية تبادلية بين أفراد الأسرة هدفها تحقيق المنفعة والمصلحة للجميع، وتقوم على الجهد المشترك والعمل المنظم حتى يتحقق التعاون الأسري ويكون هذا بالاعتماد على الحوار والتشاور، ويبرز كذلك من خلال التشاور بينهم في كل القضايا وتبادل الاهتمامات والآراء في حل المشكلات اليومية ومناقشة الخلافات المتنوعة، لكن رغم هذا لم يغب التضامن المادي لكنه تحول إلى شكل قرض، وهذا واضح من خلال المحادثات بأن الأسرة تلجأ إلى الاقتراض من العائلة في غالب الأحيان ومن الأصدقاء في أحيان أخرى، وهو ما يتوافق تماما مع النتائج المتحصل عليها من طرف المركز الوطني للدراسات والتحاليل للسكان والتنمية CENEAP إذ وجد أن التضامن في الأسرة مازال حاضرا ولكن أصبحت تميزه ظاهرة القرض خاصة فيما تعلق بالمال18، وبالتالي فإن هذه الأسر المتواجدة في المجال المتجانس بقيت محافظة على خصوصية النموذج الثقافي لهذا المجال رغم التغيرات التي مست العديد من جوانب الحياة فيها ورغم انشغال كل فرد من أفرادها بتفاعلات في مجالات أخرى، فالتضامن كظاهرة اجتماعية توجد بالأفعال والشعور المشترك للأشخاص الذين ينتمون إلى الجماعة، وترتكز على الشعور بالانتماء إلى الأسرة.

2- أظهرت الدراسة أن المجال الذي يتميز بنموذج ثقافي شبه حضري هو مجتمع غير متجانس، لأن الأفراد فيه هم حقيقة من فصائل متعددة وعلاقاتهم الاجتماعية متنوعة، فمنطقة النزلة أصبح بها عدة عائلات ليسوا من المنطقة وهم يتبنون نماذج ثقافية مغايرة، هؤلاء الأفراد الذين يحملون نماذج ثقافية مختلفة عن أهل المنطقة جعلتهم

يعيشون علاقات عمرانية وليست اجتماعية تتمثل في اغلب الاحيان في علاقة الجيرة أو الصداقة أو المحبة، ومنه فالعلاقات الاجتماعية بين أهل هذه المنطقة يبدو أنه يغلب عليها علاقات القرابة والمصاهرة والجيرة الحسنة والمحبة.

أما بالنسبة للتفاعل بين أفراد الأسرة التي تنتمي إلى المجال العمراني شبه حضري فإنه يتميز بضعف التضامن المادي وذلك من خلال غياب المشاركة المتمثل في عدم اشتراكهم باتخاذ القرار مع انعدام عقد اجتماعات من أجل تدارس الأمور الخاصة بالأسرة، بالإضافة إلى غياب المساعدة بين أفراد هذه الأسر رغم الحضور الدائم تقريبا في أوقات الأكل، أي أنهم يجتمعون ويلتقون مع بعضهم غالبا في أوقات الأكل أو الليل والمساء أحيانا، وعليه يوجد نقص في الاحتكاك ببعضهم البعض، لكن رغم هذا فان التضامن المادي لم يغب كلية لان هذه الأسر مازالت تحتفظ ببعض خصائص النموذج الثقافي الريفي، إلا أنها في انتقالها إلى مجال أكثر تحضرا من الذي كانت فيه قل مستوى التضامن من خلال المؤشرات السالفة الذكر، وهذا يتوافق مع ما جاء به دوجي إذ قال أنه كلما ازدادت المدنية قل التضامن الاجتماعي 19.

3- اتضح من خلال النزول إلى الميدان أن بلدية تقرت المتواجدة في المجال العمراني الحضري تحمل عدة ثقافات مختلفة، وذلك بسبب نزوح النماذج الثقافية من المجالات المتعددة، فمعظم السكان هم ليسوا من أصل المنطقة وهذا ما يجعل النموذج الثقافي الأصلي يتبنى نماذج أخرى، وهو السبب الذي يؤدي إلى عدم تجانس هذا المجال، والناس في الغالب علاقاتهم عمرانية وليست اجتماعية، ويبرز هذا من خلال نوعية العلاقة مع الجيران إذ ينقصها الاحتكاك المتبادل ،حتى العلاقة مع الأهل والأقارب هي علاقة اجتماعية طويلة المدى ولكنها ليست بارزة في جميع الأوقات إذ سرعان ما تظهر في المناسبات ثم تختفي في سائر الأيام.

ومن جهة أخرى فقد توصلت الدراسة الميدانية أن الأسرة التي تنتمي إلى المجال العمراني الحضري يتميز التفاعل بين أفرادها بوجود خلافات متنوعة تحدث بين الزوجين وكذا بين الآباء والأبناء، تعود في اغلبها إلى تعصب في

الرأي ووجود ضغوطات خارجية وهذا نتيجة تفاعل الذوات مع بعضها البعض من خلال المواقف التي يعيشونها، بالإضافة إلى خروج هؤلاء الأفراد إلى مجالات تفاعلية متنوعة مما يكسبهم عادات وقيم مخالفة لعادات وقيم الأسرة، ، مما يجعلهم يستعملون عبارات سيئة مع بعضهم البعض بالإضافة إلى رفع الصوت مع استعمال العنف الجسدي والمعنوي أحيانا، فتلجأ هذه الأسر إلى حل الخلافات إما عن طريق الانسحاب أو المقاطعة أو الصمت أو الإخفاء ،ضف إلى ذلك أن الحوار بينهم محدود ومحصور في بعض القضايا، كما أن جلوسهم مع بعض جماعة مقتصر على أوقات الأكل أو الليل في بعض الأحيان نتيجة تعدد الأجهزة في البيت مع وجود الانترنت مما يجعل كل واحد منهم ينفرد بذاته باقي الوقت، كل هذه المؤشرات أدت إلى ظهور التفاعل ذو الطبيعة الصراعية بين أفراد هذه الأسرة داخل هذا المجال وذلك لان التحضر يخلق تعارض في الأفكار وتغير في الأدوار مع حدوث ازدواجية فيها مثلا تعدد أدوار الأم (أم، عاملة، ربة بيت..)، مما ينتج عنه عدم الاتفاق على الأهداف أو الإجراءات التي تحقق هذه الأهداف، ويمكن تصنيف هذا النوع من الصراع بأنه صراع اهتمامات ، وقد رأينا هذا من خلال عرض حالات أسر هذا المجال، بالإضافة إلى الظروف الاجتماعية والاقتصادية والثقافية التي تعيشها الأسرة متأثرة بالتحول السوسيوثقافي الذي عرفته المنطقة ككل، حيث نتج عنه تعدد مجالات التفاعل لدى أفراد الأسرة الواحدة.

الاستنتاج العام

كنتيجة عامة للدراسة يمكن القول بان مضمون النموذج الثقافي للأسرة بمدينة تقرت وبكل ما جلبه التغير السوسيوثقافي من تطورات ظل مرتبطا بشكل العلاقات العائلية القديمة إلا أنها تغيرت بعض الشيء لكي تتماشى مع قضايا التحول والتغير، إذ كشفت النتائج أن انتقال الفرد من مجال الأسرة إلى مجالات أخرى متعددة ينعكس على تفاعله داخلها انطلاقا من واقع المجالات الاجتماعية، حيث بقي التضامن المعنوي قوي في الأسر المتواجدة في المجال العمراني المتجانس الذي يحكمه نموذج ثقافي ريفي ذلك أن الرابطة الاجتماعية التي تجمع أفراد الأسرة

في هذا المجال لم تتغير، فهي قائمة على علاقات النسب والتضامن والتكافل، بالإضافة إلى غياب التضامن المادي في الأسر المتواجدة في المجال العمراني غير المتجانس الذي يحكمه نموذج ثقافي شبه حضري ميعني ان الرابطة الاجتماعية في مجتمع اليوم تتميز بعدد من الخصائص أبرزها ضعف آليات التضامن الاجتماعي، مع ظهور واضح للصراع بين أفراد الأسر المتواجدة في المجال العمراني الحضري ولكنه ليس بالقدر الذي يؤدي إلى فك الرابط بينهم ، لان عوامل التصنيع والحداثة التي أنتجت مجالات تفاعلية داخل المجالات العمرانية والتي تأثرت بها الأسرة بمدينة تقرت، لم تستطع تفكيك الرابطة التقليدية كلية للأسرة بل بقيت ملامح ومؤشرات هذا النمط مسيطرة وفعالة بدرجة استطاعت معها الأسرة الحالية من التكيف مع التحولات الجديدة رغم ما أصابها من ضعف في الروابط الاجتماعية .

قائمة المراجع

xci – أنتوني جيدنز: مقدمة في علم الاجتماع، ترجمة أحمد زايد وآخرون، ،ص:378.

2 – عاطف غيث: قاموس علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ص:82.

3– محمد المهدي بن عيسى، إيناس بوسحلة: تجاوز الإعاقة الحركية بين آليات الدمج وتشكيل الهوية، الملتقى الدولي الأول حول الهوية والمجالات الاجتماعية في ظل التحولات السوسيوثقافية في المجتمع الجزائري، 27–28–29 فيفري 2011،جامعة ورقلة.

4– عبد المجيد السيد أحمد منصور: دور الأسرة كأداة للضبط الاجتماعي في المجتمع العربي، المركز العربي

للدراسات الأمنية، الرياض، 1987، ص:157.

5- عايد سبع السلطاني: التفاعل الاجتماعي، مقال إلكتروني

http://www.acofps.com/vb/showthread..12:00 ،13/05/30،

6- عاطف غيث: قاموس علم الاجتماع، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية ، ص:466.

7- مراد زعيمي: النظرية الاجتماعية ضرورة إسلامية، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة قسنطينة، الجزائر،1997، ص:262.

8- عاطف غيث، نفس المرجع، ص:82.

9- محمد المهدي بن عيسى، ثقافة المؤسسة، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه في علم الاجتماع، جامعة الجزائر، السنة الجامعية 2004- 2005، غير منشورة، ص:78.

10- عبد القادر القصير: الأسرة المتغيرة في مجتمع المدينة العربية، بيروت، لبنان، دار النهضة العربية، ط1، 1999. ص: 59.

11- مجموعة من الأساتذة، علم اجتماع الأسرة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2004، ص،ص: 31،32.

12- حسين عبد الحميد رشوان: الطبقات الاجتماعية والمجتمع، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2008. ص: 123.

13- معن خليل عمر، علم اجتماع الأسرة، دار الشروق للنشر و التوزيع، ط 1، عمان، الأردن، 2004، ص: 45.

14- محمد أحمد بيومي، علم الاجتماع العائلي، دراسة التغيرات في الأسرة العربية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2003، ص: 65.

15- معن خليل عمر: معجم علم الاجتماع المعاصر، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2006. ص:44

16- علي الحوات، النظرية الاجتماعية المعاصرة، اتجاهات أساسية، مالطا، منشورات الفا، ص: 138.